

علاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى

المحاضرة الرابعة

بغنوان

الحملة الصليبية الخامسة 1218/1221م

الفرقة الثالثة – شعبة تاريخ / كلية تربية / عام

إعداد

د/ زين العابدين الجزار

العناصر الرئيسية:

- أولاً: مصر والحروب الصليبية
- ثانياً: حنا دي برين ومهاجمة مصر
- ثالثاً التوجه الى دمياط
- رابعاً: الدفاع عن دمياط
- خامساً: سقوط دمياط
- سادساً: الزحف على القاهرة
- سابعاً: فشل الصليبيين والجلء عن دمياط

مصر بالنسبة للصليبيين

- أصبحت مصر موضع اهتمام دعاة وزعماء الحرب الصليبية منذ مطلع القرن الثالث عشر الميلادي.
- الصليبيون في بلاد الشام وأنصارهم في الغرب الأوربي أيقنوا أن بأن مصر هي مركز المقاومة الحقيقية في العالم الإسلامي ضد الحركة الصليبية.
- الصليبيون في بلاد الشام شبه مطوقين بالمسلمين منذ ان نجح نور الدين محمود في توحيد مصر والشام في إطار جبهة واحدة
- أدرك دعاة الحركة الصليبية والمتحمسين لها ان مفاتيح بيت المقدس توجد في القاهرة وان عليهم البدء بمصر اولا باعتبارها الطريق الطبيعي الذي لا طريق غيره للوصول الى بيت المقدس.
- اعتماد الأيوبيين على مصر ذات الموارد البشرية والاقتصادية الضخمة اصبح يزعج الصليبيين في بلاد الشام.

بداية التطلع الصليبي الى مصر

■ تفكير قديم قدم الحروب الصليبية

■ محاولة جودفرى البويونى فى الاستيلاء على مصر 1099م ولكن مشروعه لم ينفذ بسبب وفاته.

■ تجديد المحاولة فى عهد خليفته بلدوين الاول عندما شرع فى غزوها غى عام 1116م.

■ محاولات عمورى الاول الاربعة للسيطرة على مصر بين عامى 1163-1168م والسباق بينه وبين نور الدين محمود.

■ فشل الحملة الصليبية الثالثة فى تحقيق اهدافها بالاستيلاء على بيت المقدس هو الذى اقنع الغرب الاوربى بان الاستيلاء على مصر يجب ان يسبق اية محاولة لاسترداد بيت المقدس.

■ وجد الصليبيون انه بدون السيطرة على مصر لن تستقر حياتهم ببلاد الشام وهذا هو السر فى اصرار الحملات الصليبية منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادى على التوجه نحو مصر بالذات.

■ اذا كانت الحملة الصليبية الرابعة قد خرجت عن الخطة الموضوعة لها واتجهت الى القسطنطينية بدلا من مصر فان الحملة الصليبية الخامسة قد التزمت الطريق المرسوم لها واتخذت مصر ميدانا لها.

■ فشل محاولات الصليبيين فى السيطرة على مصر ولد لديهم احساس بخطورة موقفهم ببلاد الشام وخاصة بعد نجاح صلاح الدين الايوبى فى تطويق ممتلكات الصليبيين من الشمال والجنوب.

البابا انوسنت الثالث دعا لحمليتين 5+4



حنا دي برين ومهاجمة مصر:

- كان حنا (جون) دي برين ملك مملكة بيت المقدس كان يؤمن بفكرة مهاجمة مصر
- طلب من البابا انوسنت الثالث ارسال حملة على مصر.
- في مجمع اللاتران الكنسي الذي عقد في روما سنة (1215م) نوقشت مسائل المتعلقة بالحملة
- وقبل أن تبدأ عجلة الحملة الصليبية في التحرك تُوفي البابا إنوسنت الثالث (1216م)، وخلفه البابا هونوريوس الثالث الذي باشر إعداد الحملة.
- بدأت قوات الحملة في التوافد على عكا وعندما اكتملت صفوفها وعتادها اتجهت صوب مصر.
- تولى حنا دي برين زعامة الحملة



خطة حنا دى برين / لماذا لم يتبع طريق عمورى

■ وكانت خطة حنا دى برين تستهدف دخول مصر عن طريق الإسكندرية أو دمياط

■ حقيقة أن الملك عموري الاول اثبت عمليا ان الوصول للقاهرة عن طريق الصحراء الشرقية أمر سهل، ولكن يجب ألا ننسا أن عموري كانت له قاعدة حربية كبرى في جنوب فلسطين – وهي مدينة عسقلان – اعتمد عليها في غزو مصر بطريق البر.

■ أما حنا دى برين فلم تكن لديه قاعدة يمكنه الارتكاز عليها والانطلاق منها لغزو مصر عن طريق البر. وهكذا لم يكن امام الصليبيين إلا طريق البحر.

التوجه إلى دمياط

■ اختيار ميناء بدمياط ؟ اقرب المواني المصرية الى الصليبيين بالشام

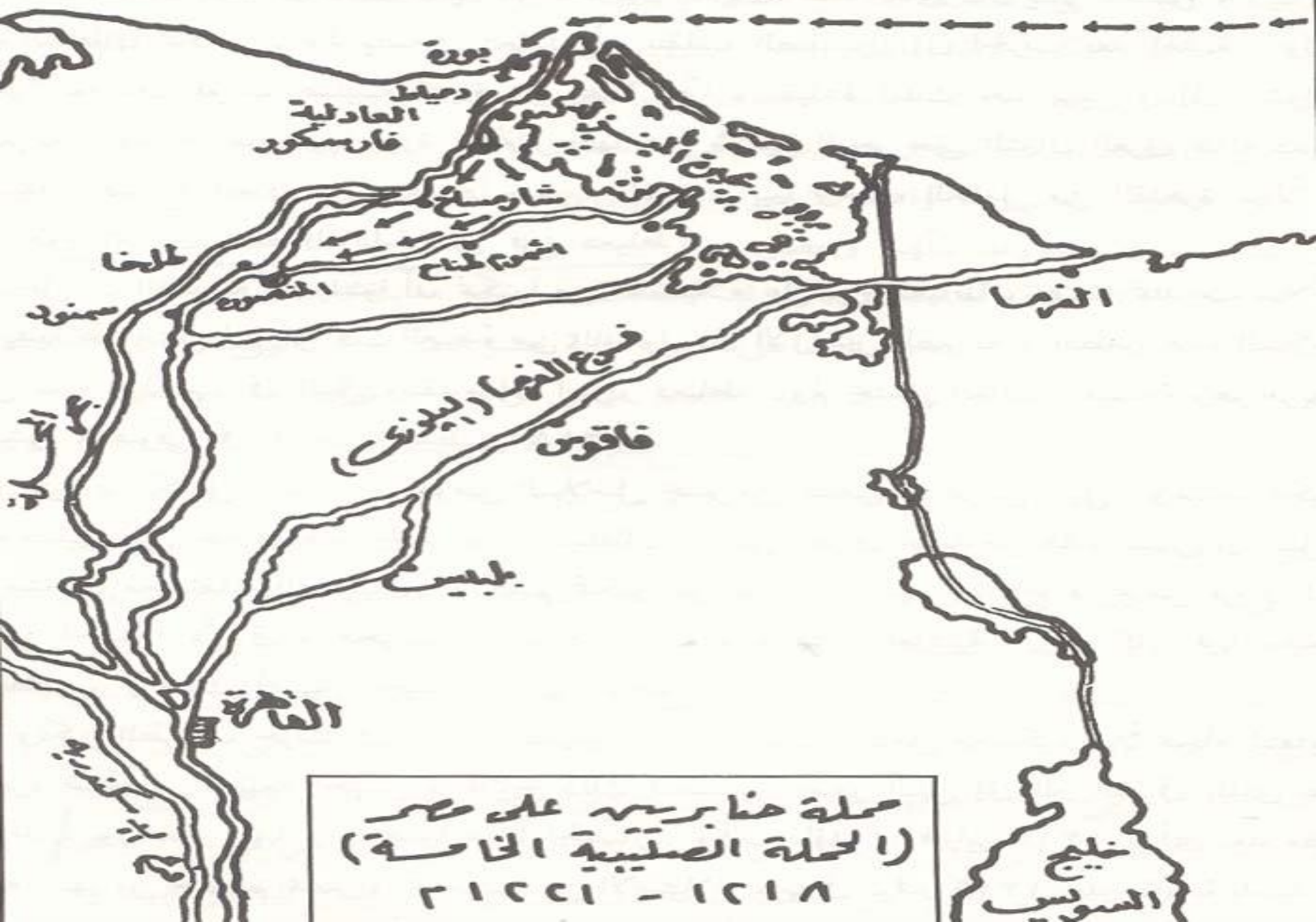
■ لم يدرك الصليبيون أن غزو مصر من دمياط يعني بالضرورة عبور الدلتا الذى كان عبورها في غاية الصعوبة بسبب وجود بعض العوائق الطبيعية التى تتمثل في السدود والترع والقنوات.

- خرجت الحملة الصليبية من عكا تحت قيادة حنا دي برين في (مايو 1218م)، واتجهت إلى دمياط، ونزلت على الضفة الغربية للنيل المواجهة لدمياط، وأقامت معسكرها على الشاطئ؛ انتظاراً للهجوم ومواصلة السير عبر فرع دمياط إلى داخل البلاد.

■ كانت مدينة دمياط محصنة
تحصينا قويا، تحميها سلسلة
عظيمة تمتد عبر النيل
وتحول دون دخول السفن
المعادية من البحر إلى داخل
مجرى النهر، بالإضافة إلى
برج السلسلة الموجود وسط
مجرى النهر عند مصبه؛
لحماية دمياط، ودفع أي
عدوان يقع عليها.



البحر الابيض المتوسط



- خطأ الصليبيون عندما ارسوا على الضفة الغربية للنيل بدلا من الضفة الشرقية القائمة عليها مدينة دمياط
- أوقعهم فى مشكلة صعبة هي كيفية عبور النيل،
- كما أنهم اضاعوا وقتا طويلا في النزول هناك مما أعطى المسلمين فرصة كافية للاستعداد للدفاع.
- وبعد ثلاثة اشهر تمكنوا من الاستيلاء على برج السلسلة وقطع السلاسل التي كانت تعترض مجرى النيل وتحول دون دخول السفن الصليبية عن طريق آلات وممرات وابراج

- تحرك الكامل لإعاقة حركة عدوه حتى لا يتوغل في البلاد
- أقام جسرا ضخما بعرض النهر، لكن الصليبيين تمكنوا من قطعه.

- إغراق سفن كبيرة في مجرى النيل لتعوق حركة السفن الصليبية، لكن ذلك لم يمنع تقدم الصليبيين بعد أن حفروا خليجا هناك كان النيل قديما يجري فيه

- انتهى الأمر بدخول السفن الصليبية النهر حتى موقع مقابل لمنزلة العادلية حيث معسكر السلطان الكامل.
- قاموا بمحاصرة دمياط

العرض السخي من جهة الملك الكامل

- في أثناء حصار الصليبيين لدمياط قبل سقوطها كان السلطان الكامل قد يؤس من إمكانية صمود المدينة بعد علمه بوصول نجدات قوية للصليبيين من قبرص وغرب أوروبا.
- - لذلك عرض الكامل على الصليبيين استعادته لرد مملكة بيت المقدس على ما كانت عليه قبل معركة حطين سنة 1187م باستثناء حصن الكرك والشوبك ووادي عربة ، أي استثناء الاردن ، في مقابل جلاء الصليبيين عن مصر.

- كان العرض الذي تقدم به السلطان الكامل غاية في الكرم والسخاء والتخاذل المهين،
- قبله العرض الملك حنا دى برين وأمراء مملكته

- الكاردينال بلاجيوس الذي أرسله البابا لتزعم الحملة الصليبية كلها رفضه وايده فرسان الداوية والاستبارية،
- هكذا كان ازدواجية القيادة سببا في الأضرار التي لحق بالحملة الصليبية كما سيتضح بعد قليل.

من وراء رفض المندوب البابوي لعرض الملك الكامل

- ويبدو أن الايطاليين بصفة عامة (بيازنة – جنوية – بنادقة) كانوا وراء رفض المندوب البابوي لانهم رأوا في احتلال الدلتا مكسبا تجاريا ضخما يفوق استرداد بيت المقدس وهكذا أضاع الصليبيون فرصة ثمينة برفض عرض الكامل.

وتمثل الخطأ الثاني الذي وقع فيه المندوب البابوي وانصاره من
الداوية والايطاليين في اصرارهم على توجيه هجماتهم ضد معسكر
الكامل والمعظم في فارسكور بدلا من الاكتفاء بحصار دمياط .
وكانت النتيجة هي فشل الهجوم على المعسكر الاسلامي وفرار
الصليبيين مما دعم مركز المسلمين ورفع من روحهم المعنوية.

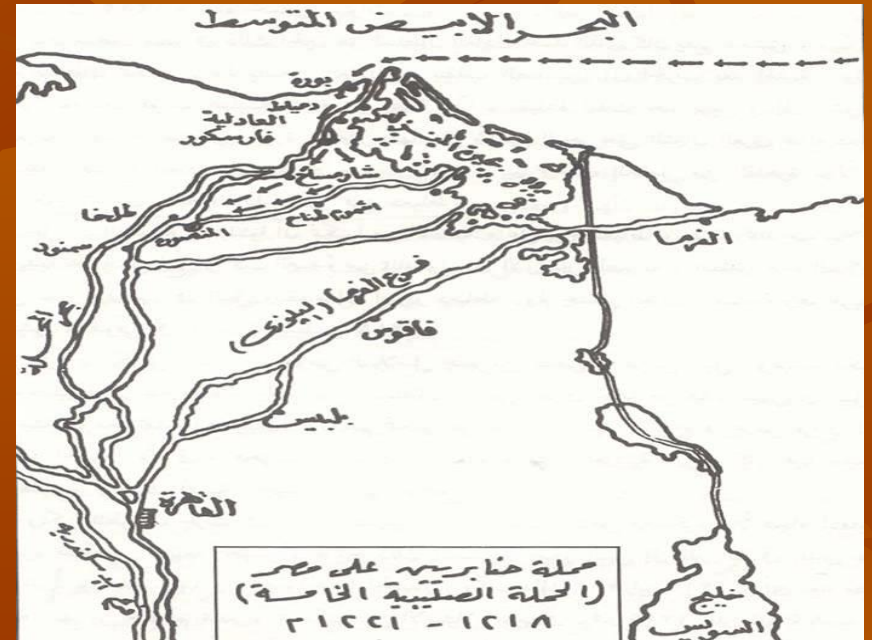
- كرر الكامل عرضه السابق للصليبيين وتكرر رفض المندوب البابوي
وخالفه في ذلك حنا دي برين .
- وهكذا بدأ الشقاق بين زعمي الحملة الخامسة وكان هذا الشقاق سببا
في اضاعه الفرصة وفشل الحملة.

سقوط دمياط

- وأخيرا وبعد حصار دام تسعة أشهر اقتحم الصليبيون دمياط في 5 نوفمبر سنة 1219م وغدروا باهلها ووضعوا فيهم السيف وسبوا النساء . ويبدو أن الصليبيين أرادوا جعل دمياط مركزا منيعا لهم مثل عكا وصور فحصنوها واسكنوا جالية كبيرة من الغربيين فيها وجعلوا جامعها كنيسة.

الزحف على القاهرة :

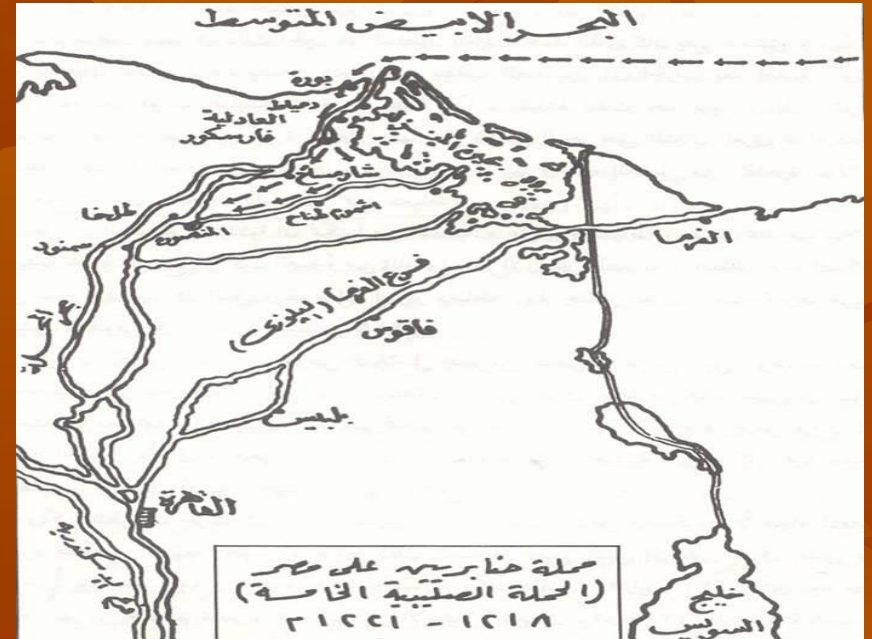
- قرر المندوب البابوي بلاجيوس في الزحف على القاهرة بمحاذاة النيل.
- كان الملك الكامل عقب استيلاء الصليبيين على دمياط قد نقل مقره من فارسكور إلى موضع امام طلخا ليحمي الطريق إلى القاهرة وأطلق على هذه المنزلة التي عسكر فيها اسم منزلة المنصورة.
- أجمع الاخوة الثلاثة : المعظم عيسى والاشرف موسى والكامل محمد ابناء العادل في منزلة المنصورة ومعهم جيوشهم وآلاف من المتطوعة الذين جاءوا من كل صوب والنجادات التي جاءت من الشام واستعد الجميع لمواجهة الصليبيين.



- واصل الجيش الصليبي الزحف وسط مثلث تحيط به المياه من ثلاث جهات (كما هو مبين بالخريطة) وهي : بحيرة المنزلة شرقا وفرع دمياط غربا وبحر أشموم طنحا جنوبا.

- فلما وصل الصليبيون إلى نقطة تفرع بحر أشموم طنح البحر الصغير من فرع دمياط قطع المسلمون السدود، وكان النيل مليئا بماء الفيضان فأغرق الأرض من تحت أقدامهم، وعاق الوحل حركة سيرهم.

- وفي الوقت نفسه أبحر عدد من السفن الأيوبية في بحر المحلة- كان يخرج وقتذاك من النيل قرب بنها الحالية ويلتقي به جنوبي فارسكور- فحالت هذه السفن بين الصليبيين والنجادات التي تصل إليهم من دمياط، وقطعت خط الرجعة على السفن الصليبية.



فشل الصليبيين والجلاء عن دمياط:

- ساء موقف الصليبيين بعد أن فتح المسلمون السدود وحطموا الجسور
- أصبح موقفهم حرج فلا هم يستطيعون العودة إلى دمياط ولا هم يستطيعون القتال في الوحل بعد أن بلغت المياه ركبهم.
- لم يعد أمامهم سوى طلب الصلح.
- أرسلوا إلى السلطان الكامل يعرضون استعدادهم للجلاء عن دمياط وعن مصر مقابل السماح لهم بالخروج من المأزق الذي وقعوا فيه وعودتهم إلى بلادهم.
- قبل الكامل هذا العرض على الرغم من معارضة أخويه اللذان أرادا القضاء على الصليبيين. أما الكامل فكان يتوقع مجيء الامبراطور فردريك الثاني فينتقم لما حل بالصليبيين ويحتفظ بدمياط.
- اشترط الكامل أن يبعث الصليبيون اليه برهائن من ملوكهم يبقون لديه حتى يتسلم منهم دمياط، فوافق الصليبيون وأرسلوا إلى الكامل عشرين من كبارهم على رأسهم حنا دي برين ، وبلاجيوس المندوب البابوي ، في حين بعث الكامل اليهم مقابل ذلك ابنه الصالح نجم الدين ومعه جماعة من خواصه.
- عندما وصل الرهائن الصليبيون إلى الكامل أكرم وفادتهم.
- أخيرا تم الجلاء عن دمياط في 7 سبتمبر سنة 1221م فدخلها السلطان الكامل فقد عاد مع رجاله إلى الشام بعد أن عقد هدنة مع الايوبيين لمدة 8 سنوات (1221-1229م) بشرط أن يطلق كل طرف ما لديه من الأسرى ، وهكذا فشلت الحملة الصليبية الخامسة